

الفصل ٨

المعارف والأصدقاء والأقران

يريد كل طفل - موهوب أو غير موهوب- أن يشعر أنه متصل بالآخرين، فالتناس عادة يشعرون بارتباطهم بالإنسانية من خلال التفاعل مع الأصدقاء والعائلة. ونحن نتعلم من الآخرين كيف يفكرون أو كيف يقومون بعمل الأشياء، ونقارن إدراكنا للكون بإدراكهم، ونعرف إن كان الآخرون يعطون لنا قيمة أو أننا لا قيمة لنا.

ولكن ما العلاقة بين الأطفال الموهوبين والأطفال الآخرين؟ هل هم غير صبورين؟ هل هم نزاعون إلى السيطرة؟ أم انعزاليون؟ يقول بعض آباء الأطفال الموهوبين: «يحب طفلي قراءة الكتب أكثر من قضاء الوقت مع الأطفال الآخرين»، أو «لا يبدو أن له أصدقاء كثيرين»، أو «لا يريد اللعب مع الأطفال الآخرين في صفه، ويفضل قضاء الوقت في الحديث مع الكبار! أريد أن يكون له أصدقاء من عمره نفسه».

ربما يفكر الآباء والمعلمون في أن «على الطفل أن يتعلم كيف ينسجم مع الأطفال الآخرين، ويحتاج إلى أن يكون محبوباً من الآخرين إن أراد أن يكون ناجحاً في هذا العالم.» ومع ذلك، عندما يكبر الأطفال، لا يعود ضغط الأقران شيئاً مفيداً، ففي المدرسة المتوسطة تنقلب الاهتمامات، فبدلاً من القول: «أتمنى أن يكون مثل غيره من العمر نفسه» إلى القول: «أتمنى ألا يكون مثل غيره من العمر نفسه». ويشكو آباء المراهقين من أن أطفالهم تواقون إلى الاندماج مع الآخرين، فيقولون مثلاً: «لقد كان ابني طالباً جيداً، لكن كل ما يفكر فيه الآن هو حصوله على بنطال الجينز المناسب حتى يبدو مثل غيره من الأولاد»، أو «هل يستطيع مقاومة ضغط الأقران لتجربة المخدرات أو السلوكات الأخرى الخطرة؟»

تعد العلاقات بالأقران مسائل مهمة لكل طفل موهوب تقريباً. فهؤلاء الموهوبون يجدون قليلاً من الأصدقاء والزلاء والأقران في مدرستهم أو منطقتهم؛ لأن اهتماماتهم وسلوكاتهم على الأغلب تكون غير عادية، وتختلف عما هو عند أمثالهم من الأطفال الآخرين من العمر نفسه. وربما يجدون صعوبات أكثر في إيجاد أصدقاء في مثل سنهم لأن لديهم قدرات عقلية عالية وغير عادية، وقوة وحساً مرهفًا. وربما يفضلون رفقاءً يكبرونهم بسنتين أو ثلاث، أو حتى أنهم يحبون التعامل مع الراشدين.

يتمتع جُلُّ الأطفال الموهوبين بشعبية لدى زملائهم، وهم مرحون واجتماعيون بصورة فطرية، ولديهم مشكلات قليلة مع الأصدقاء لأن طبيعتهم تقودهم إلى الاتصال بالآخرين، لكن هناك خطورة من أن يكونوا مشغولين كلياً بتأثيرات الزلاء إلا إذا كانوا هم القادة. وربما يتخلون عن مواهبهم أو يقللونها أو يتركون اهتماماتهم غير العادية وهم يحاولون الاندماج في مجموعة الأقران. في الظروف العادية، سيجد الطفل رفقاءً لا يجبرونه على أن يختار بين الانضمام إلى المجموعة أو تحقيق حاجته إلى الإنجاز. فالزميل المثالي سوف يقدّر ويحترم كلا المظهرين للطفل الموهوب. وربما يشعر

أطفال أذكىء آخرون، لكنهم أقل انفتاحاً، أنهم مختلفون وأنهم وحيدون ولديهم زملاء قليلون. وهؤلاء يحتاجون إلى إيجاد أقران يستطيعون الموازنة بين حاجتهم إلى وقت للتفاعل ووقت آخر للوحدة. وفي كلتا الحالتين، فإن من أحسن الأشياء التي يمكن أن يقوم بها الوالدان للارتقاء بالتطور العاطفي والاجتماعي السليم للأطفال الموهوبين هو تحسين عملية حصولهم على أقران حقيقيين. ومن الأهمية بمكان أن يفهم الأطفال الموهوبون أن العلاقات تمتد على خط متصل من الألفة والفهم والصدقات. فالقريب مثلاً يختلف عن مجرد أحد المعارف.

من القرين الحقيقي للطفل الموهوب؟

من هو قرين الطفل الموهوب؟ هل هو طفل آخر من العمر نفسه؟ هل هناك أطفال آخرون في الصف الأول يعرفون أسماء الديناصورات المختلفة كلها؟ أو المهتمون بالفلك أو مراقبة الطيور؟ الأقران هم من يشاركون الطفل الاهتمامات ذاتها، وبالمستوى نفسه من المهارة. ويحتاج الأطفال الموهوبون على الأغلب إلى أقران مختلفين لتحقيق حاجات رياضية، وعقلية وعاطفية مختلفة، أو ربما يحتاجون إلى من يجعلهم يسخرون من الحياة. وبما أن قدراتهم ومستويات اهتماماتهم يمكن أن تتنوع كثيراً بسبب تطورهم غير المتزامن، لذا فإن الأطفال الموهوبين سيحتاجون إلى تنوع في مجموعات الأقران أكثر من أي مجموعات أخرى. وإذا أخذ الأطفال الموهوبون ذلك في الحسبان، فإن أقرانهم في التصوير مثلاً ربما يكونون دون سن المراهقة، لكن زملاء لعبة البيسبول سيكونون في أعمارهم نفسها. وقد لا يجدون أي زميل يشاركونهم في اهتمامهم بالديناصورات إلا إذا كان الجميع يعيشون في مجتمع فيه علماء أحافير حيوانية، أو متحف يستطيعون أن يتحدثوا فيه مع المسؤول عن التاريخ الطبيعي.

ليس من الضروري إذن، أن يكون الزميل طفلاً من العمر نفسه، فالكبار بوجه عام لديهم أصدقاء من أعمار مختلفة شريطة أن يشاركونهم في الاهتمامات نفسها. فالناس الذين يذهبون معهم للحفلات يختلفون عن الآخرين الذين يرافقونهم في نزهة المشي، وهؤلاء أيضاً يختلفون عن أصدقاء العمل. ويكون للكبار عادة مجموعات مختلفة ومتعددة من الرفاق، والأمر نفسه ينطبق على الأطفال الموهوبين. فربما يكون لهم مجموعة أصدقاء من نفس أعمارهم نفسها يلعبون معهم في حُبهم أو منطقتهم، لكنهم ربما يفضلون أن يكونوا مع أطفال أكبر سنّاً في ألعاب الحاسوب المعقدة، أو مع الأشخاص الكبار في لعبة الشطرنج.

هل الأطفال الموهوبون الآخرون هم أفضل رفاق الطفل الموهوب؟ أحياناً، نعم، ولا سيّما إذا كانوا من العمر والمستوى العقلي نفسه ويشاركونه في كثير من الاهتمامات. وعندما يكون الطفل الموهوب محظوظاً بحيث يكون له صديق مفضل، فإن ذلك الصديق على الأغلب يكون طفلاً موهوباً آخر. وعندما يجد طفلاً موهوباً آخر يشاركه في قدراته واهتماماته، فإن الموقف سيكون مثيراً على الرغم من أن مستوى النشاط عادة ما يكون متعباً للكبار الموجودين حوله؛ حيث تكون الحماسة واضحة وملموسة ومستوى الصوت عالياً جداً. وتزداد قوة طفلين موهوبين أو ثلاثة مجتمعين معاً، فهم يبدون حماسة مشتركة كما لو كانوا يأكلون وينامون ويشربون ويتنفسون ويعيشون معاً. إن من المثير من وجهة نظر

الطفل الموهوب أن تجد رفيقاً يستطيع أن يقفز من موضوع إلى آخر مثله وبالسرعة نفسها، ولديه معلومات واهتمامات ومهارات جديدة يمكن أن يشاركه فيها.

كم صديقاً يحتاج إليهم طفلك؟

يقول كثير من البالغين إن لديهم عددًا قليلاً من الأصدقاء الحميمين، يلتقي بعضهم ببعض بصورة منتظمة، وبعضهم الآخر بصورة متقطعة. ومن الأفضل وصف علاقاتهم الأخرى على أنها معارف أو رفاق عمل لا أصدقاء. هذا الإدراك يساعد على معرفة عدد الأصدقاء الذين يحتاج إليهم طفلك الموهوب حقاً.

كذلك على الآباء أن يدركوا أن ما يقبله الكبار على أنه علاقات صداقة ربما يختلف كثيراً عما يعده الأطفال الموهوبون مقبولاً. فبعض الأطفال الموهوبين، لا سيما الانطوائيين منهم، يشعرون بالارتياح مع عدد قليل من الأصدقاء، ولا يشعرون بحاجة ماسة إلى الانسجام معهم. وبعضهم الآخر يريد أصدقاء كثيرين، وربما يريدون أن يصبحوا مشهورين، حتى على حساب التضحية ببعض قدراتهم واهتماماتهم. وهم يحاولون أن ينسجموا مع مجموعات متعددة من النظراء في وقت واحد، وقد تختلف سلوكياتهم جذرياً بناءً على نوع مجموعة النظراء، وهل هم نظراء في الناحية العقلية أم من الناحية الاجتماعية.

يسمح آباء الأطفال الموهوبين لأطفالهم على الأغلب بإيجاد أصدقاء يشبهونهم. ويحدّدون لهم مواعيد لعب، وربما يشعرون بأنهم مثل السائقين، لا سيما إذا كان طفلهم من النوع الذي يتخذ عدداً من الأصدقاء. وفي بعض الأحيان، فإن الآباء يستغربون من الامتداد الزمني لأعمار أصدقاء أطفالهم. إذ ليس من غير الطبيعي أن تجد أصدقاء للأطفال الموهوبين يكبرونهم سنّاً. بل إن بعضهم قد يكونوا بالغين - في أماكن مثل نوادي الشطرنج أو محالّ الإلكترونيات أو العيادات البيطرية أو المكتبات. فلو أخذنا على سبيل المثال، الطفلة الموهوبة الصغيرة التي صممت حاسوبها الخاص، فهي تعرف الموظفين في مخزن الحاسوب المحلي، واعتبرت بعضهم زملاء لها، لا سيما واحداً منهم كان أيضاً يطور حاسوبه الخاص.

بعض الأطفال الموهوبين ليس لهم أصدقاء، أو لهم أصدقاء قليلون جداً. وهناك أسباب عدة محتملة لذلك. فهؤلاء، بكل بساطة، لا يهتمون بقضاء الوقت مع الآخرين، ويفضّلون الوحدة. وقد يكون لآخرين أصدقاء قليلون لأنهم لم يتقنوا مهارات اختيار الأصدقاء وينفرون الأطفال منهم بسلوكهم غير المحبب. كما أن آخرين لم يتعرضوا لمواقف المجموعات الخاضعة للإشراف الجماعي مثل، الكشفافة الأشبال أو كرة القدم حيث يمكن تعلم هذه المهارات. ويقضي أطفال موهوبون آخرون وقتاً طويلاً مع الحاسوب وألعاب الفيديو حيث لا يبقى لديهم فرصة كافية للتفاعل مع الأطفال الآخرين خارج المدرسة.

متى تبدأ مشكلات الرفاق؟

تبدأ مشكلات الرفاق عند بعض الأطفال الموهوبين مبكراً. فربما لا يتواصل طفل ما قبل المدرسة مع زملائه في الصف بصورة جيدة. وربما يزعج الطفل الصغير في عمر المدرسة الرفاق بمفرداته المتقدمة أو تلاعبه بالمفردات. إن الخوض في تعقيدات العلاقات بين الزملاء، بغض النظر عن العمر، يمكن أن يجلب مشكلات للأطفال الموهوبين. فالطفل ذو الشخصية القوية مثلاً قد يبرز على أنه قائد، أو ربما يجد صعوبة في تحمل الأطفال الآخرين.

مشكلات زملاء ما قبل المدرسة: ربما تظهر المشكلات لهؤلاء الأطفال الأذكى ولوالديهم في مرحلة ما قبل المدرسة، فطفل الرابعة الذي يقرأ ما هو مكتوب على علب رقائق الحبوب، ويعرف كيف يجمع وي طرح، سيرى الأطفال الآخرين غريباً ويتساءل: لماذا لا يعرفون القراءة؟ ويمكن أن يشعر هؤلاء الأطفال الموهوبون بالملل من الأطفال الآخرين البطيئين بالنسبة إليهم. إن ما يستطيع الطفل الموهوب عمله بنفسه يعدُّ شيئاً طبيعياً من وجهة نظره. إذن، ليس من المستغرب ألا يكون رفاق الأطفال الموهوبين أطفالاً قريبين من أعمارهم، حتى في هذه الأعمار الصغيرة. وقد يبدأ الطفل الانعزال عن الأتراب، وربما يتعلم أن يجد الراحة في الوحدة أو مع أطفال أكبر منه سناً. وعلى أية حال، فإن المعلم المهتم بأطفاله الموهوبين يمكن أن يساعدهم على فهم أن من المقبول قضاء بعض الوقت وحدهم. كما أن برامج ما قبل المدرسة المرنة يمكن أن توفر لهؤلاء الأطفال حرية التعامل مع أطفال أكبر منهم سناً ومشاركتهم في اهتماماتهم.

كما يمكن أن يشعر الآباء بالوحدة عندما يكون أطفالهم في مرحلة ما قبل المدرسة. وقد يجدون أنهم لا يستطيعون التحدث مع آباء آخرين عن أشياء يعملها أطفالهم. فقد يرى الآباء الآخرون أنهم يتفخرون أو يبالغون. أو ربما يتهم معلم حسن النية، نتيجة جهله بالمعلومات، أحد الوالدين بأنه يدفع طفله حتى «يكبر بسرعة»، فيقول له: «عليك أن تتركه يعيش طفولته ولا تقلق حول تقدمه الأكاديمي في هذا العمر». وفي بعض الأحيان تتغلغل هذه الأساطير السلبية عن الأطفال الموهوبين في هذه التفاعلات المبكرة مع الآخرين، فتصبح هذه التفاعلات مصدر إزعاج عندما يعجز الآخرون عن فهم المضامين المهمة للموهبة في حياة المرء.

يقضي كثير من الأطفال الموهوبين وقتاً طويلاً بصحبة الكبار مما قد يجعلهم يكتسبون نبرة أمرية. وقد يبدو ذلك لأطفال آخرين سعيًا إلى الرئاسة فيبتعدون عنهم. وربما يبتكر بعض هؤلاء الأطفال الأذكى ألعاباً ذات قوانين، فيكتشفون أن الأطفال الآخرين لا يريدون اللعب معهم؛ لأن اللعبة معقدة جداً أو لأن الطفل متسلط جداً في محاولة فرض القوانين.

هموم الأقران في المدرسة: عندما يدخل المتعلمون الصغار المتقدمون روضة تقليدية أو الصف الأول فإنهم يشعرون بضغوط شديدة من الأقران. وعادة ما يوجد لدى معظم المدارس مجموعة من التوقعات حول ما الذي يمكن للطفل عمله عند دخوله المدرسة، وكثيراً ما تكون هذه التوقعات مهارات أو استعدادات مدرسية. ويجد الطفل الموهوب نفسه في مجموعة أطفال آخرين ذوي مستوى متدنٍ من القدرات والاهتمامات والسلوكيات. ويتقدم المنهاج بصورة منظمة جداً وسرعة مدروسة.

فيقوم كل شخص بالعمل نفسه في الوقت ذاته، ويعامل الأطفال وكأنهم أفراد يشبه بعضهم بعضاً.

إن منهاج الخطوات المغلقة المعمول به في كثير من المدارس يجلب المشكلات، إذ لا يتعلم الأطفال كلهم بالطريقة أو بالسرعة نفسها. فلا يستطيع الأطفال كلهم أن يقرؤوا بمهارة صفيين إلى أربعة صفوف أعلى من أترابهم، كما أنهم لا يستوعبون المفاهيم الأساسية في الجبر في الصف الأول أو الثاني أو الثالث. كما أن الأطفال لا يستمتعون جميعاً بالشطرنج، وليس لديهم جميعاً قدرات موسيقية غير طبيعية. فالأطفال لديهم قدرات متفاوتة على التعلم والتذكر. ومع ذلك، فإننا نتوقع من هؤلاء الأطفال المتقدمين عقلياً أن يجدوا لهم أصدقاء وزملاء من أترابهم الذين يدرسون معهم في الصف ذاته^١. فقد يحصل أمران في البيئة التي تؤكد التوافق والانسجام داخل المجموعة أكثر من التفرّد، أو البيئة التي تكون توقعاتها للأداء أدنى من قدرات الطفل الفعلية بصورة واضحة. فإما أن يتعلم الطفل الانسجام وتحقيق أدنى التوقعات بطريقة مقبولة اجتماعياً، وإما أن يبرز ويقف خارج المجموعة. وسيواجه الطفل في كلا الموقفين صعوبات مع الزملاء. فيكون في الموقف الأول غير صادق مع نفسه، ويتعلم أن يرتدي قناعاً كاذباً ليكون مقبولاً. وفي الموقف الثاني يؤكد الطفل الخارج عن المجموعة على الخلافات البارزة مبكراً، وربما يؤدي ذلك إلى «إبعاد» الأطفال الذين يمكن أن يصبحوا رفقاءً حقيقيين له.

ضغوطات الزملاء من المنزل: يشعر الأطفال الموهوبون أحياناً بالضغط من الوالدين حول كيفية التفاعل مع الآخرين، ومع من يجب أن يتفاعلوا. ويؤكد جُلّ آباء الأطفال الموهوبين أهمية الانتماء إلى مجموعة، في حين يقلق آباء البنات المراهقات الموهوبات من تأثرهن الكبير بزميلاتهن، ويهتمون بكيفية انسجامهن مع الاتجاه السائد في المجتمع. ويوازن الآباء بين مراقبة أصحاب الطفل، وبين عدم التدخل كثيراً في شؤونه. ويمكن أن يشكّل ذلك تحدياً للآباء الذين لديهم الكثير من الأصدقاء، ليتفهّموا كيف أن طفلاً انطوائياً موهوباً يمكن أن يشعر بالراحة مع صديق واحد فقط.

ضغوطات الزملاء بالنسبة للوالدين: يعاني الآباء أنفسهم من ضغوطات الزملاء. فالآباء الذين يريدون تغيير الظروف لطفلهم الموهوب، مثل تخطي أحد الصفوف، أو تسريع تعلمه في موضوع واحد فقط، يجدون على الأغلب الآباء الآخرين وحتى المعلمين يضغطون عليهم لكي يتوقفوا عن المحاولة وينسجموا مع الآخرين^٢. إن من الضروري قراءة كتاب مهد الشهرة: طفولة أكثر من ٧٠٠ رجل وامرأة Cradles of Eminence Childhoods of More Than 700 Men & Women ليعرفوا أن هؤلاء المشاهير كانوا قد نشئوا في بيوت تميّز فيها الوالدان بقوة الشخصية وكانوا يرفضون ضغوطات الزملاء^٣.

ما أهمية المهارات الاجتماعية؟

يريد جُلّ الآباء أن يصبح أطفالهم مشهورين، وأن يندمجوا في المجتمع ويكونوا اجتماعيين. ويريد كثيرون منهم أن يكون طفلهم «كاملاً»، بمعنى أن يكون محبوباً، وأن ينسجم مع الآخرين ويشارك في الأنشطة الرياضية والأنشطة الأخرى، وبصورة عامة أن ينسجم مع الآخرين في العالم من حوله. ويعتقد الآباء أن الطفل المحبوب سينجح نجاحاً باهراً في محاولاته المستقبلية، سواء

في المدرسة الثانوية أم الجامعة، أم في العمل لاحقاً. ويفكر المعلمون في الطريقة ذاتها، محاولين مساعدة الصغار ليصبحوا «كاملين» ينسجمون مع أترابهم ويتبعون التقاليد السائدة.

ويعطي المجتمع الأمريكي قيمة عالية للمهارات الاجتماعية، ويشير إلى هذه المهارات على أنها «ذكاء انفعالي»، أو القدرة على التمييز والتأثير في سلوكيات الآخرين وأحاسيسهم. ويتوقع من الشخص في معظم المواقف أن ينسجم مع الناس بغض النظر عن شعوره تجاههم. ويبدل الآباء جهوداً كبيرة في تعليم أطفالهم أفضل المهارات الاجتماعية التي تجعلهم مقبولين في المجتمع الراقى. كما أنهم يتفهمون الأذى الذي يلحق بالطفل عندما لا يكون مشهوراً. ويفضلون أن يكون أطفالهم تقليديين، أو جزءاً « من الجمهور». ويريد الآباء أيضاً أن يكون أطفالهم سعداء ومقبولين، وهم يخافون أن أطفالهم قد يشعرون بأنهم منبوذون أو قد يعانون من الآثار السيئة لعدم الانسجام مع الآخرين.

ففي أي سن، إذن، يجب على الطفل أن يتجاهل الانصياع ومسايرة الآخرين؟ هل كون الشخص تقليدياً يُعدُّ أهم من الإنجاز والإبداع والابتكار، أو بناء شعور بالاستقلال الذاتي؟ وكم يحتاج الطفل حتى ينخرط في حياة اجتماعية عادية؟ الكثير من أصحاب الإنجازات في العالم لم يكونوا خبراء اجتماعيين. فمثلاً، لم يكن لدى «إلينور روزفلت» Eleanor Roosevelt زوجة الرئيس فرانكلين روزفلت، أي مجموعة زميلات حتى ذهبت إلى مدرسة داخلية ووجدت فتيات مثلها. أما «مايا أنجيلو» Maya Angleou التي عانت من صدمة شخصية فقد بقيت منطوية على نفسها لسنوات، وبعد ذلك أصبحت شاعرة وخطيبة تثير الإعجاب. وكانت «تمبل جراندين» Temple Grandin التي شُخصت على أنها تعاني من «اضطراب أسبيرجر» لا تترتاح مع الناس طوال حياتها، مفضلة التعامل مع الحيوانات. ولقد استطاعت بذكائها العالي أن تحصل على درجة الدكتوراه، وتؤلف كتباً عدة، وتصبح محامية متحمسة للدفاع عن معاملة الحيوانات بلطف. وقد ذكر كثير من الموهوبين الناجحين أنه لم يكن لهم مجموعة زملاء حتى وقت متأخر في حياتهم، عندما كانوا في الجامعة أو بعد التخرج فيها.

ربما كان الحل الأفضل أنه يتعين على الأطفال كافة تعلم مهارات «التعامل المهذب»- بمعنى، سلوكيات تسمح لهم بالعمل مع الناس الآخرين بصورة ودية، لكن هذا لا يتطلب أن يكونوا أفضل الأصدقاء أو أن يتبنوا معتقدات الآخرين، أو قيمهم أو سلوكياتهم. فجُلُّ الناس يظهرون في بداية الأمر، «تعاملاً مهذباً» مع المعارف الجدد؛ ثم يقررون فيما إذا كانوا يرغبون في زيادة معلوماتهم المتعلقة بهؤلاء المعارف. ويستطيع الآباء أن يعرضوا لأطفالهم سلوكيات «التعامل المهذب» في المجالات العامة مثل المكتبة، ومترو الأنفاق ومحالّ البقالة وأماكن العمل. ويمكنهم التحدث لأطفالهم حول أهمية احترام الأطفال الآخرين والمعلمين، حتى لو لم يوافق الطفل الآخر على رأيهم أو على ما يقولون.

رفاق اللعب الأكبر سناً

تكون مفردات الطفل الموهوب وقدراته في بعض الأحيان متقدمة كثيراً حيث يتخلف عنه أقرانه- وهذه فجوة يمكن أن تخلق مشكلات اجتماعية. لذا، فإن هناك معنى لانجذاب هؤلاء الأطفال نحو الأطفال الذين يكبرونهم سناً أو حتى نحو الراشدين الذين تكون مفرداتهم واهتماماتهم مماثلة

تقريباً لما عندهم من مفردات واهتمامات.

ومع هذا، فإن العلاقات بين الأعمار المتفاوتة يمكن أن تؤدي إلى المشكلات. فإذا حظي الطفل الموهوب بتسريع أكاديمي، فإنه على الأغلب سوف ينسجم عقلياً مع أطفال أكبر منه سناً، لكنه سيواجه صعوبات اجتماعية محتملة. وعندما يتعد الطفل عن أقرانه، فإن ذلك يقلل من العدد المحتمل للأصدقاء من العمر نفسه. ثانياً، يمكن أن يعتقد الآخرون أن الطفل يحاول أن يبدو كبيراً أو ناضجاً، أو ربما يتهمون والديه بأنهما «يستعجلان» نمو الطفل. وثالثاً، يمكن أن يعرّض الزملاء الأكبر سناً ذلك الطفل لموضوعات ناضجة أعلى من مستوى طفل صغير. ورابعاً، يمكن أن يتعرض الطفل الذي يبحث عن زملاء أذكى في غرف الدردشة على الإنترنت إلى مواضيع غير مناسبة. وعلى الرغم من أن العلاقات المتنوعة الأعمار يمكن أن تكون ذات مزايا معينة، إلا أن الآباء والمربين يحتاجون إلى مراقبة تفاعل الطفل مع الأطفال الأكبر سناً حتى يجدوا توازناً بين رفاق العمر وأقران الذكاء لدى ذلك الطفل الموهوب.

الأصدقاء الخاصون

يجد الأطفال الموهوبون، في العادة، شخصاً أو اثنين يطوّرون معهما علاقات صداقة خاصة ووديّة تكون دائمة على الأغلب. وتكون هذه العلاقات عادة مع شخص يشاركهم في الاهتمامات ذاتها. وتكون صداقاتهم قوية وتبدو كأنها تستهلك ساعات اليقظة كلها. وهذه روابط قوية حقاً وتنمو مع الزمن. وتتطور صداقات أخرى مع أولئك الذين يزودون الطفل الموهوب بشعور من التقبل، وتصيح تلك الصداقة، سواء أكانت مع زميل أم معلم، ملاذاً آمناً للطفل.

وتُشبع حاجات الطفل الموهوب للصداقة أحياناً بهذه الصداقة الوحيدة القوية. وسوف يقضي الأصدقاء وقتاً كافياً معاً، ويتشاركون في الكتب والألعاب، ويتحدثون عن كل شيء بدءاً من الرياضة وحتى الفضاء الخارجي، وينتظرون بفارغ الصبر حتى يلتقي بعضهم بعضاً من جديد. وعندما يجد الطفل الموهوب هذا النوع من الأصدقاء في مناسبة خاصة أعدت للموهوبين، فإن الصداقة تستمر بعد تلك الحادثة عبر التواصل عن بُعد.

ولا جدال في أن الصداقات الخاصة مهمة، ويستطيع جُلّ الناس أن يتذكروا صديقين أو ثلاثة شاركوهم في الكثير من المودة. وقد وُفّر هؤلاء الأصدقاء الأمانة والمكان الهادئ لاستكشاف الأفكار والتصورات.

لكن بعض الآباء يقلقون أحياناً من اقتراب طفلهم كثيراً من الطفل الآخر، ويعتقدون أن الصداقات الخاصة يمكن أن تؤدي إلى بعض المشكلات، خاصة عندما تنتهي تلك الصداقات. وتكون الصدمة قوية جداً حتى أنه يمكن أن ينجم عن انتهاء الصداقة كثير من الحزن والدموع والألم والغضب. وعلى الرغم من شدة الألم، إلا أن انتهاء الصداقة يعطي الطفل فرصة للتعلم حول العلاقات بين الناس. لذا حافظ على التواصل مع طفلك كي تساعده على تعلم تعقيدات العلاقات، وأن يفيد قدر الإمكان من المواقف الصعبة.

ومع أن الصداقات الخاصة ذات الاهتمامات المشتركة مهمة، إلا أن بعض العلاقات الأخرى الأقل قوةً مع أطفال آخرين تكون مرغوبة. لذا شجع طفلك على تعزيز شبكة من العلاقات تساعد على تقدير قيمة الصداقات والمعارف. وربما كان هذا صعباً على طفل موهوب، لكن من المهم أن يطور قدرته على تعديل توقعاته من الآخرين وأن يتعلم الصبر وتقدير إسهاماتهم.

الانطوائية والأقران

مع أن بعض الأطفال الموهوبين انبساطيون ومنفتحون، إلا أن معظمهم يكونون انطوائيين عند مقارنةهم بالأطفال العاديين. فعندما نجمع بين الانطوائية وعدم الانسجام المتكرر بين الأطفال الموهوبين وأقرانهم (فيما يتعلق بالاهتمامات، والمهارات، والمعرفة، والحس المرهف والشدة)، لن يكون من المستغرب أن يجد الأطفال الموهوبون، خاصة ذوي الموهبة العالية، أن هناك قواسم مشتركة قليلة يشاطرون فيها أقرانهم من العمر نفسه.

إن من غير المرجح أن يقترب الأطفال الانطوائيون من أطفال جدد، بل إنهم على الأرجح سينتظرون الآخرين حتى يبذؤوا صداقاتهم معهم. وهم يحتاجون إلى وقت يلاحظون فيه الموقف عن كثب قبل الانخراط فيه، ولا يشعرون بالحاجة إلى كثير من الأصدقاء كما يفعل الانبساطيون. وقد لا يكون هؤلاء الأطفال، أحياناً، قد تعلموا كيفية اختيار الأصدقاء. فبعض الأطفال الموهوبين يكونون مشغولين بأفكارهم واهتماماتهم حتى أنهم يتجاهلون الآخرين. وفي مثل هذه الحالات يتعين على الوالدين والمعلمين أن يدركوا أن العالم الموجود في ذهن الطفل أهم عنده من علاقاته الاجتماعية بالزملاء. لكن مساعدة الطفل على فهم أن الآخرين قد ينفرون من سلوكه يمكن أن يرفع من وعيه بأن تفاعله الاجتماعي الضعيف يمكن أن يهزمه من الداخل، وأنه سيكون بحاجة إلى التغيير.

لا يميل الانطوائيون إلى حب المفاجآت، بل يحبون تحذيرهم لما سيحصل لاحقاً. لقد فاجأت إحدى الأمهات بحسن نية طفلتها بحفلة عيد ميلادها. وعندما وصل المدعوون، اختبأت الطفلة المحتفى بها خلف الأريكة ورفضت التفاعل مع الأطفال الآخرين. إن الآباء الحساسين لشخصيات أطفالهم الانطوائية أو الانبساطية أقدر من غيرهم على التخطيط لهؤلاء الأطفال والتدخل لمعالجتهم في الوقت المناسب.

الوقت الذي يقضيه الطفل وحيداً

يقلق الوالدان أحياناً من اقتناع طفلهم باللعب وحده. ويقولون: «إنه يفضل أن يبقى في البيت ويبنى أشكالاً بالمكعبات أكثر من اللعب مع الأطفال الآخرين». وفي المدرسة، يفضل أن يقرأ كتاباً على أن يلعب في الخارج مع الأطفال الآخرين. وفي بعض الأحيان يجد الأطفال الموهوبون زملاء في الشخصيات التي يقرؤون عنها في الكتب عندما يكونون وحيدين. ويستطيع معظمنا أن يتذكر القناعة الشديدة التي كنا نحصل عليها ونحن أطفال (ولا نزال نحصل عليها اليوم)، عندما كنا ندفن أنفسنا في كتاب جيد ونتقمص شخصياته أو معانيه. ويعبر عن هذه الفكرة بصورة جيدة عنوان كتاب «جودث هالستيد»

Judith Halsted "بعض أفضل أصدقائي هي الكتب Some of My Best Friends Are Books".^{٦١}

ولا شك في أن الوقت الذي يقضيه الطفل وحيداً مهم لكثير من الأطفال الموهوبين، ولا سيما الانطوائيين. وربما كان هذا الوقت ضرورياً لتطوير قدرات الفرد. وقد خلص بحث «باربارا كير» إلى أن الفتيات الموهوبات اللاتي أصبحن مشهورات عندما أصبحن راشدات، يشتركن في صفة عامة، هي أنهن جميعاً كنَّ يحتجن إلى قضاء كثير من الوقت وحيدات، حتى يقرأن أو يتابعن ما بدأه سابقاً. كما وجدت «باربارا كير» Barbara Kerr أن جُلَّ أولئك الفتيات لم يتمتعن باحترام اجتماعي، وإنما كنَّ «حريصات» على الحضور فقط. لقد كان بعض الأطفال الموهوبين، على الرغم من قدرتهم على اللعب التفاعلي، يفضلون قضاء وقت كبير في ألعاب انفرادية، فيعبثون بالأشياء أو يبتكرون بعض الأشياء أو يقرؤون بهدوء.

متى يُعدّ وقت الوحدة أكثر مما ينبغي؟ بعض الأطفال الموهوبين يريدون فعلاً أن يكونوا منعزلين اجتماعياً. وأحد المؤشرات على ذلك هو محاولة تقرير ما إذا كان الطفل يقضي هذا الوقت بمحض اختياره، أم أنه يفعل ذلك لنقص مهاراته الاجتماعية أم لعدم قدرته على تكوين العلاقات. وعلى الوالدين أن يطرحا الأسئلة التالية:

- هل يقضي طفلي وقته وحيداً لأنه يفتقر إلى المهارات الاجتماعية؟
- هل يخاف من الرفض؟
- هل يستمتع حقاً بالوقت وحيداً؟
- هل يساعده وقت الوحدة على التركيز على الأفكار الممتعة والأنشطة التي يفكر فيها؟

إذا كان الطفل قادراً على التفاعل بسرور بين فترة وأخرى مع رفاق اللعب الذين يشاركونه في اهتماماته وقدراته، فلن يكون هناك ما نقلق بشأنه. وهو يفضل، على الأرجح، قضاء الوقت في قراءة كتاب على قضائه مع أترابه الذين لا يشاركونه في كثير من الاهتمامات. ربما تكون أنت نفسك قد شاركت في مناسبة اجتماعية أو أكثر في وقت كنت تتمنى فيه أن تكون في البيت تقرأ كتاباً. وعلى أية حال، إذا شعرت أن هناك أسباباً منطقية تجعلك قلقاً على تفاعل طفلك الاجتماعي، فإنه يمكنك طلب النصيحة أو الاستشارة من أحد المختصين حول هذا الموضوع. فالوقت الذي يقضيه الطفل وحيداً مهم ولكنه ليس ضاراً بالضرورة. فطفولة الممثلين والموسيقيين وكذلك الرياضيين الذين حصدوا ميداليات عديدة من الأولمبياد هي أبعد ما تكون عن النمط العام. فقد كان هؤلاء يقضون ساعات كثيرة وهم وحيدون يطورون فيها مواهبهم، وكانوا على الأغلب يتعلمون في البيت أو يتتلمذون على يد معلم خصوصي. وكانت حياتهم الاجتماعية محدودة في أوقات ذروة التدريب أو الأداء. ومع ذلك، فقد تحول معظم هؤلاء الأطفال إلى خبراء ماهرين عندما تقدموا في العمر، بغض النظر عن مدى استمرارهم في تحقيق إنجازات في مجالات مواهبهم.

المقارنة بالأقران والوسم بالموهبة

ليست المدارس أماكن للتعلم فقط، وإنما هي أيضاً أماكن للتنشئة الاجتماعية، حيث يحصل فيها الأطفال على تغذية راجعة عن أنفسهم، ويمارسون مهارات اجتماعية وسلوكية، ويتعلمون كيف ينظر إليهم الآخرون. ويكتشف الأطفال في المدرسة أنهم يُقارنون بالآخرين من خارج عائلاتهم، وربما يحدث ذلك للمرة الأولى في حياتهم أحياناً. ومن أسس المقارنات التي يقوم بها زملاء الصف والمعلمون الحجم والمهارات الجسمية، والمهارات الاجتماعية والعقلية، وحتى نمط اللباس. ويبدأ الأطفال الموهوبون سريعاً بمقارنة أنفسهم بالآخرين في أثناء تطويرهم لمفهوم الذات. فإذا كانت مقارناتهم عادلة، فإنهم سيشعرون بأنهم منسجمون مع الجماعة، وإلا فإنهم يحاولون إيجاد طرق تجعلهم مقبولين لدى الآخرين. وقد يتطلب القبول في الجماعة أحياناً إخفاء بعض المواهب.

إن الوسم «بالموهبة» يؤدي إلى المقارنات. فقد يسمع المعلمون أو يرون أن طفلاً ما موهوب، وسرعان ما يتوقعون أن أداءه الأكاديمي سوف يكون سهلاً. وهم يفترضون وجود كفاءة عالية في معظم الميادين المدرسية، إن لم يكن فيها كلها؛ كما أنهم يخشون أن يرى الطفل الموهوب نفسه أحسن من الآخرين بسبب مواهبه وقدراته. وربما تقود هذه المقارنات الأطفال الذين لا يوسمون بالموهبة إلى الافتراض بأنهم «ليسوا موهوبين»، وأنهم تبعاً لذلك أقل قيمة وقدرًا من زملائهم. وقد يسخر هؤلاء من الموهوبين بألقاب ساخرة، مثل «عبقري»، «مهووس»، «أحمق» أو رأسه مخزن كتب... إلخ».

تقود المقارنات إلى التقويم الذاتي، ويدرك الأطفال الموهوبون في الأغلب الفرق فيبحثون عن طرق ليكونوا مقبولين في الجماعة. ويُقارن الأطفال الموهوبون في مثل هذه المواقف، بأطفال مختلفين عنهم تماماً؛ حيث يجدون أنهم «أوتاد مربعة الشكل تحاول الدخول في مجموعة من الحفر الدائرية الشكل»^١. يقول أحد المراهقين: «ليس لي أصدقاء في مدرستي، وإنما لي فقط بعض المعارف. الأطفال الأذكى كلهم ذوو تحصيل منخفض (متدنٍ) ولا يفهمون لماذا أريد أن أدرس وأتعلّم. على حين أن الأطفال الآخرين كلهم يتعجبون من ذكائي ويصفونني بالعبقري (وأنا لست كذلك)، كما أنني لا أحب ذلك. لو تحدثت معي أحد من حين إلى آخر، فإنه سوف يكتشف أنني لست طالباً جامعياً في السنة الأولى لا همّ له إلا القراءة، بل لدي أصدقاء حقيقيون قليلون خارج المدرسة؛ وهم يفهموني، ولا يعتقدون أنني عبقري (لأنهم أيضاً أذكى!)، ونقضي وقتاً ممتعاً معاً»^٢.

أما تعليقات المعلمين فهي إما أن تغذي هذه المقارنات أو تقلل منها. فربما يقرر معلم، مثلاً، أنه يحتاج إلى وضع طفل موهوب في مكانه الحقيقي بقوله: « لا يهم إن كنت تخرج مرتين في الأسبوع إلى صف خاص بالموهوبين، لكن عليك القيام بكل ما هو مطلوب في صفي». أو « من المفروض أنك تعرف تلك الإجابة، فأنت موهوب». إن هذه التعليقات ومثيلاتها تعزز المقارنات غير الصحية. وقد يخلق بعض المعلمون، أحياناً، مقارنات غير صحية وبيروزون عدم الانسجام بسبب هذا الوسم بالموهبة. فربما يقولون مثلاً: «انتظروا لتروا مدى صعوبة هذا الامتحان. أشك في أن أيّاً منكم - أنتم الأذكى - يستطيع النجاح فيه». إن هذا النقص من الاحترام لا يعدّ مثبطاً للطفل الموهوب فحسب، بل ربما يوجد صعوبات إضافية بين الزملاء. لكن احترام الأطفال جميعاً، فضلاً عن الموهوبين،

يجعل المعلم نموذجاً يقلل من الضغط الذي ينتج عن وسم الأطفال بالموهبة.

استراتيجيات الصداقة

من الصعب على الآباء أن يروا طفلاً يعاني من قلة الأصدقاء. فكيف يمكن لهؤلاء الآباء أن يساعدوا هذا الطفل؟ فيما يلي بعض استراتيجيات الصداقة التي تتطلب منك أن تساعد^١ طفلك على:

- تخصيص وقت للأصدقاء.
- المبادرة بفتح الأبواب لصداقات محتملة.
- تعلم كيف يكون مضيفاً جيداً.
- ممارسة مهارات الصداقة في مواقف أقل ضغطاً.
- الاستماع الجيد كي يبرهن على أنه يهتم بالآخرين.
- التعبير الصادق عن قدراته، مع تجنب التفاخر المبالغ فيه.
- مدح الآخرين وإبراز صفاتهم الجيدة.
- المشاركة في أنشطة المجموعة حتى في المجالات التي يكون فيها ضعيفاً، حتى يوئد فرصاً جديدة للصداقات.
- تقبل الذين يفكرون بخلاف ما يفكر فيه، أو يعملون عكس ما يعمل.
- تقبل الربح والخسارة بروح رياضية.
- التعامل المناسب مع حالات الإغاظاة والتنمر ونشر الإشاعات.

يمكن أن تستخدم هذه الاستراتيجيات في مواقف متنوعة، حتى عندما تذهب مجموعة من الزملاء إلى نشاط معين في سيارة واحدة. وربما يقنع أحد الوالدين طفله بالانضمام إلى مجموعة يستمتع معها بقضاء الوقت، سواء أكانت نادياً، أم مسرحاً، أم كرة قدم، أم مجموعة الكشافة. ويمكن تنفيذ مشاريع كثيرة يشترك فيها طفلان في تنفيذ النشاط، حيث تتوافر فرص متعددة لممارسة مهارات الصداقة.

ويمكن للوالدين أن يناقشا مع أطفالهما مواقف الصداقة النموذجية، ويمثلاً دور الصديق الوفي. وبما أن لدى الأطفال الموهوبين خيالاً ممتازاً، فإن بإمكانك أن تساعد طفلك على التفكير من خلال الربط بين سلوكه وبين استجابات الآخرين. فيمكنك، مثلاً، أن تقول «ماذا تعتقد أن يحصل لو أنك...؟»، ثم «ماذا يمكن أن يحصل؟»، و«ماذا تعتقد أن الشخص الآخر سيفعل (يفكر، يشعر... إلخ) عند ذلك؟»، و«كيف ستستجيب أنت لذلك؟» و«ماذا ستحاول أيضاً؟» وعندما تمثل هذه السلوكيات مع الطفل فإنك سوف تبين له ما سيحدث نتيجة كل سلوك.

وتستطيع أيضاً أن تمثل السلوك النموذجي كي تبين للطفل كيف سيبدو عندما لا ينتبه لتلميحات الأطفال الآخرين أو يستمع إليها. فيستطيع أحد الوالدين أن يبين للطفل (أو يمثل أمامه) جميع أنواع لغة الجسد التي تستجلب تفاعلاً اجتماعياً، أو أن يمارس سلوكيات فعلية لتكوين صداقات حقيقية في الحياة. وما نوع التعبير الذي سيكون على وجهك إذا كنت مهتماً بالتحديث إلى أحد الناس؟ وكيف تبدو إذا كنت مسروراً، أو تشعر بالودّ نحو أحد زملاء؟

إذا كنت تمارس لعب الأدوار مع طفلك، فلا تنس أن تبدّل الأدوار من وقت إلى آخر؛ فمرة تلعب دور الطفل، ثم في المرة التالية تلعب دور الشخص الذي يحاول طفلك التحدث إليه. وإذا كانت علاقتك بطفلك جيدة، فإنك تستطيع أن تبين له وجهة نظرك حتى من خلال الميلودراما، مما يجعل طفلك يضحك في أثناء التعلّم. إن تمثيل الدور يمكن أن يساعد الأطفال على فهم ما يشعر به الآخرون وما يفكرون فيه.

ويستطيع الوالدان الاستعانة بالمعلمين أو المدربين، حيث يمكن أن يقول أحدهم مثلاً: «يستطيع خالد أن يفيد من بعض النصائح في تكوين الأصدقاء، فهلاً ساعدته، من فضلك، إذا رأيته يرتكب بعض الأخطاء حتى يستطيع تجاوزها؟» فأكثر الراشدين يسعدهم أن يقدموا المساعدة إذا علموا أن الطفل هو الذي يطلبها. كما يمكن أن يستعين الوالدان بمرشد المدرسة حيث يعقد بعض مرشدي المدارس جلسات لمجموعات صغيرة من الأطفال الذين يحتاجون إلى المساعدة في مجالات معينة مثل اختيار الأصدقاء.

يعاني بعض الأطفال الموهوبين من اضطراب «أسبيرجر»، حيث تترافق هذه الحالة مع صعوبات في المهارات الاجتماعية. لكن هناك كتب عدة مفيدة تناولت المهارات الاجتماعية التي تهتم الأطفال الذين يعانون من هذا الاضطراب. فبعض هذه الكتب يحتوي على مشاهد كرتونية لأطفال يمثلون ويقولون أشياء تثبّت الصداقة، وعلى الصفحة المقابلة أطفال يمثلون ويقولون أشياء تشجع التفاعلات الاجتماعية. ويمكن أن تكون هذه المصادر قيّمة في مساعدة الأطفال الموهوبين على رؤية طرق جديدة للتفاعل، على الرغم من أن آباء هؤلاء الموهوبين الذين يعانون من اضطراب «أسبيرجر» قد يحتاجون إلى البحث عن أخصائي يساعدهم عندما تكون صعوبات أطفالهم شديدة.

ضغط الأقران في سن المراهقة

يهتم المراهقون بصورة خاصة بالعلاقات مع الزملاء، وتتناول تصرفاتهم أساساً السؤالين التاليين: من أنا؟ وإلى من أنتمي؟ ويشعر الموهوبون المراهقون أنهم يختلفون عن زملائهم في الصف، ويدركون بمرارة الصورة النمطية التي يحملها زملاؤهم عن القدرات العالية والإنجازات. وهم في صراع دائم مع الخرافات والتعليقات الساخرة التي تتعلق بموهبتهم. وفيما يلي نماذج من كتابات هؤلاء المراهقين حول تجاربهم المجرّد أنهم موهوبون:

«عندما توصف بأنك موهوب، إذا فعلت أي شيء خارجاً عن نطاق ما يتوقعه الناس من الشخص الموهوب، كأن تذهب إلى حفلة أو تتأخر خارج البيت،

أو تحصل على علامة متوسطة في الامتحان، فإن الناس سيعتقدون أنك غير محظوظ. أما إذا تأخر عن موعد حفلة أو حصل على علامة متوسطة في الامتحان، فلن يكتثر لذلك أحد، لأنه اختلافهم عما هو متوقع أمر عادي»^{١١}.

«لست منبوذاً من المجتمع أبداً؛ لكنني أشعر أحياناً أن الناس الذين في مثل سني لا يفهموني لأنني موهوب. إنهم يضايقونني كثيراً. أتمنى لو أن أصدقائي يتقبلون الموهبة على أنها شيء جيد»^{١٢}.

«لقد كانت حياتي المدرسية في المدرسة الثانوية تافهة... لقد كان المتنمرون يضايقونني، كنت أود أن يفهموا لماذا أختلف عنهم، بدلاً من دفعي في القاعات أو نعتي بأني - غريب الأطوار - كل ما في الأمر أن ميولي وسياستي تدفعاني أن ألبس على نحوٍ مختلف وألاً أهتم بلعب الكرة، وهم لديهم مشكلة في ذلك»^{١٣}.

«يعتقد بعضهم أنني مغرور ومنبوذ، أو أن من الصعب الانسجام معي، لقد سمعوا عني، ولكنهم لا يعرفونني شخصياً. لقد قرؤوا مقدمة الكتاب وظنوا أنهم قرؤوا الكتاب نفسه»^{١٤}.

«لا أحد يشعر بي عندما أكون في المدرسة. ففي حصة الرياضيات، مثلاً، ألوح بيدي، وأصرخ بالإجابة، لكن لا أحد يسمعي ولا حتى المعلم. لكن الطفل الذي بجانبني ينطق بالجواب ذاته، والمعلم دائماً يسمعه. ولقد أخبرتني معلمة الاجتماعيات أنها لن تطلب مني الإجابة عن أي سؤال لأنها تعرف أنني أعرف الإجابات كلها»^{١٥}.

لا تستغرب إذا أخفى طفلك المراهق الموهوب قدراته مؤقتاً أو اختار أصدقاء تعتقد أنت أنهم غير مرغوب فيهم. فهو على الأرجح يكون في صراع مع أمور صعبة؛ إذ إنه يريد أن يكتشف مشاعره في أثناء انتمائه إلى المجموعة، وربما يدفعه الفضول إلى معرفة كيف يعيش الآخرون، وكيف يفكرون ويشعرون. كما أنه، من جهة أخرى، يريد أن ينمي قدراته واهتماماته بما فيها تلك الصفات التي يمكن أن يختلف فيها عما عند زملائه. وربما يتذبذب سلوكه من وقت لآخر. وقد يبدو لأول وهلة أنه منسجم أحياناً مع أقرانه ومتمرد أحياناً أخرى. وقد يبتعد بعد ذلك عن زملائه، لكي يكون مع الراشدين أو أشخاص أكبر منه سناً.

إن هذا يمكن أن يشكل ضغطاً للوالدين الذين يدركون أنهم لا يستطيعون اختيار أصدقاء أطفالهم بنجاح في الحالات كلها. ومن المرجح أن يتعرضوا لبعض الخوف حول علاقات أطفالهم؛ في حين ينهمك الطفل في حل تلك الأمور. ويأمل الوالدان أن يقرر الطفل أن إنجازاته وشخصيته أهم من صداقة زميل معين. وإذا كان لأحد الوالدين صلة جيدة بالمراهق، فإنه يمكن أن يسأل ابنه عما سوف يكسبه من أي علاقة خاصة بأحد زملائه، وعن التضحية التي يتعين عليه أن يقدمها لقاء ذلك. كما

يريد الوالدان التحدث مع طفلهما حول كيفية التعامل مع بعض الأمور التي تخص زملاءه في مواقف متعددة من حياتهم.

ضغط الأقران وتدني التحصيل الأكاديمي

من المعروف أن ثقافة المجتمع الأمريكي هي ثقافة التوافق والانسجام. وقد أدى انتشار وسائل التواصل إلى المزيد من التجانس في الاتجاهات والتوقعات وحتى أنماط الحديث، يفوق ما كان موجوداً منذ عقود عديدة خلت. فالضغوطات المتعلقة بارتداء الملابس المناسبة، أو قول التعابير المناسبة، أو التصرف بالطريقة المناسبة تحيط بنا في كل وقت. ولا شك في أن أحد الأسباب الكبيرة لانخفاض تحصيل الأولاد والبنات الأذكياء هي رغبتهم في الانتماء إلى الجماعة والانسجام معها.

ولقد لوحظت مشكلة الفتيات الذكيات للمرة الأولى من كاتبة عمود في إحدى الصحف اسمها «آن لاندرز» Ann Landers التي كتبت تقول «ليس ذكياً جداً أن تكون ذكياً جداً - لا سيما إذا كنت فتاة تريدين أن تنسجمي مع الجماعة». ومما يؤسف له أن قيمة البنت لا زالت تُبنى على قدرتها في جذب انتباه الجنس الآخر^{١٦}. وحتى تكون الفتاة مشهورة، يجب أن تكون لطيفة، وحساسة، وودودة وسلبية، بدلاً من أن تكون عدوانية ومتذمّرة وجميلة وحسنة الهمد، وغير ذكية جداً - أو على الأقل ألا تكون أذكى من الرجل الذي ترغب في الاقتران به. لاحظ كيف أن معظم هذه المؤهلات لا تتعلق بالنجاح الأكاديمي، بل إنها لا تعكس الصفات التي تشترك فيها النساء المشهورات.

تقع على الأطفال الموهوبين ضغوطات مماثلة؛ فعليهم أن يتعلموا احترام «منظومة سلوك الأولاد»، ويقبلوها، ثم يتبنوا معظم مظاهرها إذا أرادوا أن يكونوا مشهورين^{١٧}. وهذه المنظومة غير المكتوبة لسلوك الأولاد التي انتقلت من جيل إلى جيل تتطلب من الأولاد أن يتعلموا الاكتفاء الذاتي، وأن ينشغلوا بسلوكات تتطلب الجرأة والشجاعة، والكفاح للوصول إلى السيطرة، وأن يحرصوا على أن يظهروا سلوكات رقيقة، كالدفء والتعاطف أو الاعتماد على الآخرين. وقد يكون من المرغوب فيه أن يكون الأولاد رياضيين إلى حد ما. وتعدّ الرياضات الفرق ككرة القدم أو كرة السلة أكثرها احتراماً وتقديراً، وتعدّ الرياضات الفردية كالتنس والجولف أفضل من عدمها. لكن أكثر جوانب منظومة سلوك الأولاد لا تحتوي على أمور أكاديمية^{١٨}.

أما في الثقافة الأمريكية - الإسبانية أو الأمريكية - الأفريقية فإن الضغوطات للانسجام مع الجماعة تكلف ثمناً إضافياً - فإذا كنت أسود أو إسبانياً عالي التحصيل، فإن زملاءك يمكن أن ينظروا إليك على أنك «تتصرف بصورة ملفتة للأنظار لتبدو وكأنك أبيض»، وتخون ثقافتك الأصلية. وهكذا، فإنك إذا كنت ناجحاً أكاديمياً، فقد ترفضك جماعتك العرقية ذاتها.

لا يوجد بين قيم الزمالة المذكورة أعلاه ما يؤكد أهمية التحصيل الأكاديمي. فإذا كان أحد الأطفال الموهوبين متفوقاً أكاديمياً، فإن زملاءه يمكن أن ينظروا إليه على أنه تهديد لهم، لأنه يبرز الضعف النسبي وعدم الكفاءة للذين لا ينجزون بالدرجة نفسها. وربما ينتقد الزملاء الطفل الذكي ويرون أنه يشكل «منافسة غير عادلة»، مما يولد عائقاً آخر أمام قبول زملائه له.

وعلى الرغم من أن الأطفال الموهوبين قد يكونون مسرورين وفخورين لأنهم أذكىاء جداً، إلا أنهم ربما يكونون قلقين من أن ذلك يبعدهم عن أصدقائهم. وربما يكونون في صراع مع قولهم مثلاً «ما مدى انسجامي مع الآخرين؟» بدلاً من قولهم «إلى أي مدى أعبر عن مواهبي وقدراتي وأطوريها؟». وكلما كان الطالب من ذوي الذكاء المرتفع، كان عليه أن يتخلى أكثر عن «نفسه الحقيقية» كي ينسجم مع الجماعة. ويمكن أن يكون من الصعب على المراهق أن يطور شعوراً قوياً بالاعتداد بالنفس حيث يرفض الانضمام إلى مجموعة الزملاء الذين يمارسون سلوكيات مدمرة أخلاقياً أو جسمياً، كالتدخين أو الإفراط في إقامة الحفلات. فجاذبية الصداقة الحميمة والقبول من الجماعة قد يكونان أكبر من أن يقاوما، خاصة مع طفل لديه صعوبات طويلة الأمد مع زملائه ورغبة في أن يُقبل في مكان ما. وفي مثل هذه الحالات فإن الأمور الأكاديمية لا تحظى بالاهتمام الكافي.

وطالما استمرت المدارس في تصنيف الأطفال للأمور الأكاديمية بناءً على العمر وحده - كأن يكون أطفال السبع سنوات كلهم في الصف الثاني - بدلاً من الاعتماد على مستوى الطفل الراهن من الإنجاز والقدرة، وطالما أن المجتمع يقدّر أفضل الأولاد في الرياضة وأجمل البنات أجساماً، فإن مدارسنا وأنظمتنا الاجتماعية الأخرى سوف تستمر في عدم توفير الراحة للمتعلمين الموهوبين. وسوف يستمر وضع من يبدوون مختلفين، لأنهم أذكىاء، في صفوف يعرفون فيها مسبقاً المهارات كلها التي يدرّسها المعلم. وسوف يجدون صعوبة في توفر التحدي الأكاديمي الذي يريدونه، وربما لن يكونوا مقبولين تماماً من الآخرين.

هناك أطفال موهوبون آخرون لديهم أصدقاء وإنجازات عالية. ويجب ألا يفترض الوالدان تلقائياً أن طفلهما الموهوب لن يكون له أصدقاء وأن تحصيله سيكون متدنياً. فالتحصيل المتدني هو إحدى المشكلات المحتملة للمراهق الموهوب، لكن هناك أعداداً كبيرة من الطلاب الموهوبين سعداء بتحصيلهم، ولديهم ثقة عالية بأنفسهم ليرفضوا سلوك الزملاء الذي لا يريدون محاكاته.

العلاقات بالأقران في الجامعة وما بعدها

يلتحق كثير من الأطفال الموهوبين، وليس كلهم، بالجامعة؛ وهي المكان الذي يضم أمثالهم من الموهوبين أكاديمياً. ويمكن أن تستمر العلاقات بين الزملاء في توليد مشكلات جديدة في الجامعة، خاصة عند الطلاب الموهوبين جداً أو المهتمين جداً بالتحصيل. فقد بيّنت دراسة أجريت على المتفوقين من خريجي المدارس الثانوية الحاصلين على منحة من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أن ثلث هؤلاء الطلاب فقط كانوا يشاركون في الأنشطة الترفيهية المنظمة في الجامعة^{١٩}. وقال أكثر المشاركين إنه لم يكن لديهم الوقت أو الاهتمام في «الانضمام إلى جماعات النشاط».

يستطيع معظم الطلاب أن يجدوا أصدقاء خلال سنواتهم الجامعية، لكنهم يظنون تحت ضغط قضايا الشدة، والحساسية والمثالية، وعدم الصبر. ويمرّ الشباب والشابات الموهوبون على الأغلب حتى بعد التخرج بمشكلات عدم العثور على أشخاص يشاطرونهم نقاشاً معقولاً أو يشاركونهم في مثالياتهم القوية. وربما يجدون صعوبة في العثور على أشخاص يصبحون شركاء حياتهم في المستقبل.

وهؤلاء الراشدون الصغار لا يحتملون القيود إطلاقاً. سواء في العمل، أو في المجتمع، أو في علاقاتهم بالآخرين. إنهم يريدون أن يكملوا عملهم كله، أو يصححوا الأخطاء كاملة في التوّ واللحظة. وهم لا يرضون بمستوى معايير الجودة التي يرونها حولهم، وبعضهم يضيق ذرعاً بالآخرين الذين لا يشاركونهم في البحث عن القناعات الشخصية. وينتج عن ذلك أن العلاقات مع الآخرين، سواء أكانت في البيت أو في مكان العمل سوف تتأثر بصورة مباشرة. وتستمر صفات الأطفال الموهوبين، إلى سن الرشد، مع أنها تكون قد تهذبت على نحو واضح.

مراحل الصداقة

يفيد الأطفال الموهوبون أحياناً من فهم بعض الأساسيات المتعلقة بارتباط الناس بعضهم ببعض. وتستطيع أن تساعد طفلك على فهم التطور البطيء لتلك العلاقات من المعارف إلى الزملاء إلى الأصدقاء الجيدين. إن رفاق اللعب بالنسبة للأطفال الصغار هم أطفال آخرون يعيشون قريبهم أو يعرفونهم من الحضنة أو الروضة. أما الأصدقاء في سن المدرسة فهم أناس يستطيعون التكلم معهم أو يمدونهم بالدعم والمساعدة. وعندما ينضج الطفل يزداد إدراكه لأهمية الاهتمامات المشتركة، والتوصل إلى تفاهات متبادلة. والصداقات الناضجة هي تلك التي تحتوي على علاقات حميمة ودائمة مبنية على قيم مشتركة.

وعندما يرتبط الناس بعضهم ببعض، فإن ذلك يتضمن ثلاث مسائل أساسية حسب الترتيب التالي:

١. الاندماج / الاستبعاد، هل أنا عضو في هذه الجماعة أم أن مكاني خارجها؟

٢. التحكم أو السيطرة - أين موقعي في تقرير ما سوف نفعله؟ هل أنا القائد، أم التابع أم العامل، أم ماذا؟

٣. الاهتمام المتبادل - هل فعلاً يكثرث الآخرون لما يهمني، وهل أكثرث أنا لما يصيبهم؟ يجب تسوية المسألتين الأولى والثانية قبل أن تظهر الثالثة. إنك تشعر عادة بالأشخاص الذين تجمعك بهم اهتمامات مشتركة أو تركيز مشترك وتكثرث لهم، وكذلك الذين يقدرّون دورك في هذه العلاقة والذين تعول عليهم في المساهمة بالمحافظة عليها.

يجد الأطفال الموهوبون صعوبة في التعامل مع هذه القضايا. فقد يتساءلون إن كانوا فعلاً جزءاً من المجموعة أو حتى إن كانوا يريدون أن يكونوا جزءاً منها. فإذا أصبحوا فعلاً جزءاً من المجموعة أو العلاقة، فمن المرجح أن تظهر قضايا الكفاءة والسيطرة. وبما أن الأطفال الموهوبين يكونون على الأغلب مثاليين، لذا ربما يركزون على العدالة بصورة أكبر لأن الآخرين قد لا يقدرّون هذه المثالية بالطريقة نفسها. وربما لا يستطيع هؤلاء الأطفال الصبر إذا آلت القيادة إلى شخص أقل منهم كفاءة. وهنا تبرز المشاعر المتضاربة؛ لأن الأطفال الموهوبين يريدون أن يشعروا بأنهم مندمجون، ومحترمون، ويكثرث لهم أصدقاؤهم، على الرغم من أنهم يصابون أحياناً بالإحباط من تفاعلاتهم مع الآخرين.

قد يكون من الصعب الموازنة بين علاقات الزملاء فعلاً كلما تقدمت هذه العلاقات عبر المراحل

المتابعة. فيكون الأطفال الموهوبون أحياناً قادة المجموعات ومشهورين بين زملائهم؛ على حين يقضي آخرون وقتاً صعباً في الانسجام مع المجموعة، أو يقررون، ببساطة، أن هذا ليس مهماً في هذا الوقت من حياتهم. وهم يتعلمون كيف يتغلبون على الصعوبات بطريقة أو بأخرى، ويرتاحون لكونهم "الذئب الذي يعيش وحيداً" مع صديق أو صديقين حميمين، وليس مع شبكة اجتماعية واسعة. فالأطفال الموهوبون يختلفون، في التعريف، عن الأطفال العاديين، وهذا يؤثر بلا شك في علاقاتهم مع الآخرين بطرق متعددة.

عدواني، أم سلبي أم حازم

يتعين على الأطفال أن يحسبوا مقدار النشاط والحزم اللذين يتطلبهما تكوين صداقات متطورة ودائمة وناجحة. فبعض الأطفال الموهوبين، وخاصة الانبساطيين منهم، عدوانيون إلى حد يجعل الآخرين ينفرون منهم. أما الانطوائيون فمن المرجح أن يكونوا سلبيين ويتنظرون الآخرين ليأتوا إليهم. ويريد جُلّ الآباء أن يكون أبنائهم في مكان ما بين هذين الطرفين- أي حازمين، ولكن ليسوا عدوانيين ولا سلبيين. ومن العوامل التي تساعد الأطفال على ذلك أن يشرح لهم الوالدان الفروق بين العدواني والسلبي والحازم.^{٢١}

يسمح الأطفال السلبيون للآخرين بأن يتخذوا القرارات نيابة عنهم، ويبقون صامتين فيما يتعلق بأفكارهم ومشاعرهم، وتنقصهم على الأغلب الثقة بالنفس، ويخافون أن شيئاً سيئاً قد يحصل لهم إذا كانوا حازمين أو عدوانيين فيحاولون، نتيجة لذلك، تحقيق أهدافهم بالمناورة والتملق، أو أي طريقة أخرى غير مباشرة.

أما الأطفال العدوانيون فيتخذون القرارات للآخرين بصورة عادية، ويعبرون عن مشاعرهم بصراحة ودون لباقة. وربما كانت سلوكياتهم هجومية أو عنيفة. وتنقصهم في الأغلب الثقة بالنفس أيضاً، لكنهم يعوّضون عن ذلك بالسيطرة والتقليل من شأن الآخرين والسخرية منهم. ويحاولون التأكيد من خلال سلوكهم أنهم لا يقبلون الانتقاد، وينفذون ذلك بتخويف الآخرين وتهديدهم. وهم يصرون عادة على تلبية ما يريدون.

ويتخذ الأطفال الحازمون قراراتهم بأنفسهم ثم يوصلون آراءهم ومشاعرهم بسهولة ويسر للآخرين بطريقة لبقة. إنهم يؤمنون بأنفسهم وبقدراتهم، ويبحثون عن أهدافهم ويصلون إليها بطريقة محترمة ومباشرة. وسوف ساعدهم هذا الأسلوب وهم يبحثون عن الزملاء المناسبين.

مقترحات عملية

صنع نظاماً عاماً: يستطيع الوالدان والمعلمون مساعدة الأطفال الصغار على وجه الخصوص على تطوير علاقاتهم بالزملاء، بوضع نظام عام مع بعض القيود، مثل أن يقولوا مثلاً: «تستطيعون تركيب المكعبات حتى وقت الغداء، ثم تساعدون جميعاً على تحضير الشطائر»، أو «هذه بعض المواد لبناء حصنكم، لكن إذا زادت أصواتكم عن حدها، فإن عليكم اللعب خارج البيت». تستطيع أوقات اللعب المنظمة

أو شبه المنظمة أن تحدد معالم واضحة وتزيد احتمالات التفاعل الإيجابية.

تجنب الجدولة الزائدة: تقود اهتمامات الأطفال الموهوبين ورغبة الوالدين في إثرائهم أحياناً إلى ملء جدولهم اليومي، حيث لا يتبقى لهم سوى القليل من الوقت لتكوين صداقاتهم. فإذا جمعت الساعات التي يكلف فيها الطفل أسبوعياً بالواجبات المنزلية، ودروس الموسيقى وكرة القدم، والأنشطة الدينية، والذهاب اليومي إلى تلك النشاطات والعودة منها، فإنه لن يتبقى للطفل سوى وقت محدود لتكوين الأصدقاء. صحيح أن طفلك يمكن أن يكون صداقات كثيرة في أثناء مشاركته في هذه الأنشطة، لكن ما الفائدة المرجوة من ذلك إذا لم يكن لديه الوقت الكافي للتعرف جيداً لهؤلاء الأصدقاء؟ تأكد أن تخطط لبعض الأيام التي يستطيع الأطفال أن يلعبوا فيها، وقد يكون من الحكمة عموماً أن تتأكد أن التلفاز يبقى مغلقاً في هذا الوقت.

حوّل حب السيطرة إلى قيادة: بعض الأطفال الموهوبين غير محبوبين من زملائهم لأنهم متسلطون أو حتى مهيمنون. وهؤلاء الأطفال لا يرضون زملاءهم عمداً، لكنهم ذوو إرادة قوية ولديهم طاقة وحماس شديداً لأفكارهم الجديدة أو للعبة الجديدة التي ابتكروها حديثاً، حتى أنهم، من فرط حماسهم، يعلنون عنها بلهجة سلطوية دون أن يدركوا أن الآخرين قد لا يريدون المشاركة فيها. وقد ينهمك الأطفال بشدة في هذه الألعاب حتى أنهم لا يلاحظون عدم اهتمام الآخرين بها أو ردة فعلهم السلبية نحوها. فقد يقول ولد موهوب في الصف الأول مثلاً في أثناء الفسحة: «دعنا نمثل مسرحية عنترة بن شداد، أنت تقوم بدور الفارس الأبيض، وفاطمة بدور الأنسة، وأنا بدور الفارس الأسود الذي يقاتلك في المبارزة. نحن على خيول ولدينا رماح، كهذه. أنت تحاول أن توقعني عن حصاني لكنني أستعمل سيفي، هكذا، ثم أوقعك عن حصانك. ويبقى الآخرون هم المتفرجين؛ تقفون هناك وتهتفون لنا. ثم تُسقط فاطمة مندبلاً أكون قد أعطيتها إياه إشارة إلى أنها تريدني أن أفوز». في أثناء ذلك لا يوجد لدى طلاب الصف الآخرون أدنى فكرة عن هذه اللعبة التي يصفها هذا الولد، أو القوانين التي يملئها عليهم، فيبتعدون عنه وهم يقولون: «لا نريد أن نلعب هذا، نريد أن نلعب لعبة ملك الجبل كما فعلنا بالأمس». أو قد يكون الأمر أسوأ من ذلك فيقولون لبعضهم بعضاً، وهم يبتعدون عنه «إنه شخص غريب جداً».

لو كان هذا الطفل المتحمس المتسلط طفلك، فيمكن أن توضح له- في الوقت المناسب - أن الأطفال الآخرين قد لا يريدون دائماً أن يمارسوا النشاط الذي يعتقد أن عليهم عمله، وأن عليه - إذا أراد أن يكون له أصدقاء - أن يستمع أولاً لما يريدون فعله قبل أن يقرر للعبة التي سوف يلعبونها. يستطيع الأطفال الموهوبون أن يحلّلوا المواقف وأن يقدّروا الفرق بين القيادة والتسلط. ويمكن أن تقترح على طفلك أن الأطفال الآخرين قد لا يحبّون أن يتحكم فيهم أحد أو يتسلط عليهم. فالذين يحبون العيش في الأجواء الديكتاتورية هم قلة من الناس.

وعندما تربط شرحك لهذه الأمور باهتمامات طفلك، فإن ذلك يزيد من فهمه للموضوع. فقد تقول للطفل في المثال السابق، مثلاً، إن الملك آرثر صمّم الطاولة المستديرة حتى يستطيع الفرسان أن يطرحوا آراءهم أيضاً. ويمكنك أيضاً أن تقول له إن من الأفضل أن تكون، أحياناً، فارساً من الفرسان

وليس الملك آرثر. وقد يكون جيداً أن تكون القائد أحياناً، لكن من الممتع في أحيان أخرى أن تسمح لشخص آخر أن يتولى القيادة. ويمكنك أن تحدث طفلك عن رياضات الفريق، مثل الكرة الطائرة، وكرة القدم، وكيف أن الرياضيين يتناوبون الأدوار بناءً على حاجاتهم في وقت معين. ففي كرة القدم الأمريكية، مثلاً، يقود المدرب اللاعبين كلهم، ولكن الذي يقودهم في الملعب هو لاعب خلف الوسط. وقد يكون أحد اللاعبين الآخرين أحياناً هو «النجم»، لا سيما عند اللحظة الحاسمة. إذن يقود الفريق أحد اللاعبين لفترة معينة، ثم يقوده شخص آخر بعد ذلك.

حاول أن تخبر طفلك بأن القائد الجيد يسمح للآخرين بطرح آرائهم ومدخلاتهم، ولا ينفرد باتخاذ القرارات دائماً، ويتفهم أن عمل الفريق وتبادل أدوار القيادة يكون على الأغلب مفيداً في هذه الأنشطة. كما أن تفويض السلطة، والمساعدة، والتسهيلات، كلها مظاهر مهمة من مظاهر القيادة، ومفتاح ذلك كله هو أن تفهم متى تقوم بالسلوك المناسب. ويمتلك القائد الجيد أفكاراً أكثر من غيره، لكنه لا يكون خيالياً أو معقداً جداً بحيث يكون متقدماً جداً عن زملائه الآخرين.

ويمكنك التحدث مع طفلك عن الفرق بين التسلط والتعاون. ولتوضيح ذلك الفرق، يمكنك أن تطلب إليه أن يعطيك أمراً بلهجة رئيس للمرؤوسين، ثم يطلب إليك أن تفعل الشيء نفسه بأسلوب تعاوني مقنع. ويمكنك أن تطلب إليه أن يتأمل في الطريقة التي يحب أن يكلف بها في تنظيف غرفته، «اذهب إلى غرفتك ونظفها الآن». أو أريد منك أن تنظف غرفتك في وقت ما بعد ظهر اليوم قبل أن يحضر جدك وجدتك للعشاء. هل تحب أن تعمل ذلك قبل التدريب على كرة القدم أم بعده؟» ثم تحدث معه حول أي الأسلوبين يفضل مع إبداء الأسباب. واطلب إليه أن يبين الفرق بين الأسلوبين.

ولعل مما يساعدك على مهمتك توفير مخارج تسهل ظهور المهارات القيادية. فتستطيع في البيت، مثلاً، أن تزود الطفل المتسلط بطريقة مناسبة لكي يكون مسؤولاً. ويمكن أن تكون «أيام العطل المميزة» التي تحدثنا عنها في فصل التواصل طريفاً يمارس فيها طفلك القيادة. وربما تستطيع أن تجد بدائل أخرى لطفلك القيادي ومبادراته في المجتمع المحلي الذي يعيش فيه.

فكر في مدارس أو برامج خاصة: بما أن المدارس والبرامج الخاصة بالأطفال الموهوبين تجمع الأطفال حسب القدرات والعمر معاً، لذا فإن من المرجح أن يعثر الطفل الموهوب على زملاء مناسبين له في تلك البيئات. لكن هذا لا يكون علاجاً شافياً، وعلى كل حال؛ فليس من الضروري أن يقيم الأطفال الموهوبون علاقات مع أطفال موهوبين آخرين، مع أن من المرجح أن تقل مشكلات الزملاء عندما يكون الطفل الموهوب محاطاً بأطفال ذوي شخصيات مماثلة لشخصيته.

تجنب المقارنات الكثيرة: لن تستطيع أن تساعد الطفل على إنشاء علاقات جيدة مع زملائه، إذا عرض الوالدان أو المعلمون إنجاز الطفل الموهوب على أنه نموذج لزملائه.. فقد يلجأ الوالدان أحياناً إلى المقارنات لكي يشعر طفلهما بالخجل من سلوكه. لكن هذا الأسلوب لن يكون مفيداً للطفل، بل الأفضل من ذلك أن تسأله مباشرة ما شعوره إزاء سلوكه غير المرغوب.

خذ في الحسبان ضغوطات الزملاء. يكون ضغط الزملاء على أشده في أثناء السنوات المدرسية التي

يكونون فيها في مجموعات متماثلة في العمر؛ ثم يختفي تدريجياً خلال سنوات الجامعة وما بعدها. ومن المهم هنا أن يفهم الطفل الموهوب أنه لن يهتم أحد، بعد التخرج، بمن هو الذي كان أكثر شهرة في المدرسة الثانوية. ويمكن أن تنقل ذلك لطفلك من خلال النكتة التالية^{٢٣}:

الأب: ماذا يسمي الناس الطالب المجتهد، الذي يقوم بأعمال إضافية، ويريد أن يقوم بأعماله المدرسية، ويحاول جاهداً أن يتعلم دروساً من معلمه؟

الطفل: «حاذق، متملق، ذكي»

الأب: ماذا يسمي الناس الإنسان الراشد الذي يبذل قصارى جهده، ويقوم بأعمال إضافية، ويحاول تعلم أشياء جديدة؟

الطفل: «لا أعرف»

الأب: يسمونه «رئيساً».

تساعد هذه الأوصاف الموجزة طفلك على أن يفهم أن تحصيله الأكاديمي واستقلاله عن ضغط الزملاء يمكن أن تفتح أبواباً عديدة أمام مستقبله.

العلاج بالقراءة أو الببلوثيرابي *Bibliotherapy*. يستطيع الأطفال الموهوبون، من خلال القراءة، أن يتعلموا مفهوم الصداقة ومفاهيم أخرى مثل تقبل عدم الكمال، وتقبل مزاح الأصدقاء، والمشاركة في الخوف والأحزان، وحفظ الأسرار، والعفو عن زلات الآخرين وتحمل خصوصياتهم. فكتاب *Rosie and Michael* "روزي وميشيل" للمؤلفة جودت فيورست Judith Viorst، وكتاب "علمتني أن أكل الخرشوف" *She Taught Me to Eat Artichokes* "لماري كي شانلي"^{٢٤} Mary Kay Shanley هي مجرد أمثلة على الكتب التي تُعنى بهذه المسائل. كما أن النكات، والضحك، والتشارك في الممتلكات، ومساعدة الآخرين في الحالات الطارئة تعدّ أموراً مهمة في تكوين الصداقة. ويمكن أن تزيد القراءة حول هذه المواضيع من بصيرة الطفل وتعزز علاقات الصداقة بزملائه. وهناك كتب أخرى ضمن مؤلف "الكتب بعض من أفضل أصدقائي" *Some of My Best Friends Are Books* للكاتبة جودت هالستيد Judith Halsted^{٢٥}. ويمكن أن يستمتع كل من الوالدين والأطفال بقراءة كتب حول بعض تلك المسائل ثم يتناقشون، فيما بينهم، حول الشخصيات الواردة فيها. ويمكن أن تؤدي مشاعرهم وأعمالهم بطريقة غير مباشرة إلى تفتح بصيرتهم حول هذه الأمور.

ويمكن اتخاذ سير حياة الأشخاص المشهورين أسلوباً ناجحاً مع المراهقين والكبار الموهوبين. إن هذه الكتب، عندما تُختار بحكمة وتُقدم بطريقة خالية من التهديد، يمكن أن تنقل رسالتك بأقل ما يمكن من المواجهة - مما يزيد من إمكانية سماع تلك الرسالة. و من خلال هذه الطرق المؤثرة يطور الطفل بصيرته ورؤيته، ويبدأ سلوكه بالتغير تدريجياً.

علاقات الأقران داخل العائلة

تؤدي البيئة العائلية دوراً كبيراً في علاقات الطفل بزملائه، فإذا رأى طفل موهوب أنه يختلف عن زملائه في المدرسة، فإنه سيكون من المهم، على وجه الخصوص، أن يجد قبولاً في العائلة، بكل ما فيه من صفات الموهبة، ولا بدّ من أن تشجعه عائلته على تطوير قدراته واستعمالها بصورة صحيحة. ويستطيع الآباء أن يساعدوا الطفل الموهوب المنعزل على تطوير خطة لحياته، وأن يعززوا بصيرته وتكيفه مع الآخرين، بالحديث عن ضغوط زملائهم هم؛ سواء في العمل أم في منطقة الجوار، وكيف قرروا أن يتعاملوا معها.

ويستطيع أحد الوالدين أو أحد الأجداد، أحياناً، مساعدة الطفل بأن يؤكدوا له أنه لا ضير في أن يتخذ أصدقاء مختلفين للأنشطة المختلفة. إن مجرد إدراك طفلك أنه ربما يحتاج إلى أصدقاء متنوعين لممارسة النشاطات المختلفة يمكن أن يطمئنه إلى معرفة أن ما يراه غير عادي هو أمر سوي تماماً. وبما أن الوالدين قد عايشا زملاء كثيرين ومتنوعين خلال حياتهما، فإنهما يعرفان، بلا شك، أن هناك طرقاً عدّة للعيش الناجح لا تعتمد بالضرورة على الشهرة في مجموعة معينة أو في فئة واسعة من الناس.

يمكن أن يكون الراشدون زملاء مهمين للأطفال في حياتهم. فكثير من الآباء والأجداد، والأعمام والعمات يبتهجون بلعبة الشطرنج أو غيرها مع الأطفال من وقت إلى آخر، أو يعبرون عن حرصهم على نحو صبياني وهم يستمتعون باللعب والضحك الطفولي في الأوقات المناسبة. ويمكن للكبار المهمين خارج العائلة أن يزودوا الأطفال بتفاعلات تشبه تفاعلاتهم مع الزملاء. فقد اعتبر طفل عمره ١٣ عاماً جاره الذي يناهز ٦٠ عاماً زميله في الشطرنج. وقد تحوّلت تلك الصداقة إلى علاقة تلمذة، عندما أظهر المراهق اهتماماً بالحياة السابقة لهذا الرجل المتقاعد.

مساعدة الوالدين في التغلب على ضغط الزملاء

يشعر الراشدون أيضاً بضغوط الزملاء. فهناك توقعات معينة داخل مجتمعاتنا تتعلق بكيفية «الأبوة الجيدة»، وكيف «يجب» أن يتصرف الأطفال. وكثيراً ما يتعرض آباء الأطفال الموهوبين إلى ضغوط من خلال نظرات التفحص أو التعليقات التي تصدر عن الآباء الآخرين مثل قولهم: «لماذا تضغط كثيراً على طفلك كي يتعلم القراءة؟» وهذا تعليق يؤلم، لأن والدي الطفل الموهوب لا يعلمان طفلهما القراءة. فالطفل يتعلم وحده من خلال أسئلة يطرحها هو نفسه، مثل «ما هذه الكلمة؟» لكن والديه يشعران بضغط الزملاء عندما يحاول هؤلاء الزملاء إصدار الأحكام عليهم.

إن الخصائص العادية عند الأطفال الموهوبين هي ذاتها التي تضعهم خارج الجماعة عندما يقارنون بالأطفال الآخرين من العمر نفسه. وعندما يتحدث آباء الأطفال الموهوبين مع الآخرين عن أطفالهم، فإنهم يواجهون على الأغلب بعدم التصديق، أو الاستجابات، أو الانتقادات. «طفلي ليس طفالاً حساساً إلى هذا الحد. ماذا فعلت أنت حتى جعلت طفلك حساساً جداً؟»، «لماذا تسمح لطفلك بالتصرف بطريقة غير مهذبة وطرح أسئلة كثيرة على الكبار؟»، «لماذا لا يلعب طفلك مع أقرانه من

العمر نفسه؟»، «لماذا هو متسلط جداً؟» «ألا تعتقد أنك تفسده عندما تغطيه ببطانية ناعمة أطرافها من الحرير؟» هذا الراشد الآخر ينقصه فهم طبيعة الموهبة، وربما يلوم والد الطفل الموهوب على أشياء تعدّ من طبيعة الموهبة. وقد يتهم والد الطفل الموهوب أنه يتفاخر بطفله ويتباهى. وقد يعلّق آخرون أن الطفل الموهوب كان سيلعب مع الأطفال العاديين أحسن مما يلعب مع الموهوبين لو أن والده لم يتحدث كثيراً عن قدراته. إن هذه التعليقات ومثيلاتها يمكن أن تؤذي والد الطفل الموهوب.

إن هذه المواجهات المتكررة يمكن أن تجعل من تربية الطفل الموهوب تجربة فريدة، فنادراً ما يتوفر آباء آخرون يمكن أن يشاطروهم الإنجازات غير العادية لأطفالهم أو حتى يشاركوهم في خبرتهم الأبوية الفريدة. آباء الأطفال الموهوبين يحتاجون، على الأغلب، إلى دعم وتشجيع من آبائهم هم. كما أنهم يحتاجون إلى شخص آخر يستمع إليهم ويصدقهم ويتقبل أن هذه هي التجربة الحقيقية لوالدي الطفل الموهوب.^{٣٦}

قد يكون ضغط الزملاء أحياناً شديداً جداً، حيث يتمنى أحد الوالدين أو كلاهما أن يكون طفلهما مجرد طفل «عادي» أو «طفل وسط»، أو على الأقل لا يختلف كثيراً عن الأطفال الآخرين. وقد يكون من الصعب مقاومة ضغوط الزملاء الآخرين، ويحتاج الآباء إلى الشجاعة - تماماً كما يحتاج أطفالهم الموهوبون إلى الشجاعة - لكي يستمروا في دعم اهتمامات أطفالهم والمحافظة عليها مهما كانت.

